Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غـايات، وصـاحب آيات وأن المتصـدي بعده لإنشـاء مقامـة، ولو أوتي بـلاغـة قـدامة، لا يغتـرف إلا من فضالتـه، ولا يسري ذلـك المسرى إلا بـدلالته، ولله در القائل:

فلو قبــل مبكـاهــا بكيت صبــابــة بسعـدي. شفيت النفس قبل التنـدم
ولكن بكت قبـلي فهيــج لي البـكــا بكـاهـا، فقلت الفضـل للمتقـدم[1]

لسنـا مع القـائلين بفضل الحـريري عـلى البـديـع، لا لأن الحـريـري نفسـه يعترف بذلـك في كلمته السـابقة، بـل لأن الناحيـة الفنية عنـد البديـع أوضح، وعنصر المفاجأة في مقاماتـه أوقع وأمتـع، ومن ثم تراهـا أدخل في الفن القصصي من تلك التي ملأها الحـريري بغـريب الألفاظ، وأودعهـا أسراره الملغـزة، ولولا أن أبا العلاء قد مهد له النفوس بـألغازه وأحاجيه لمـا أقبل النـاس على مقـاماتـه بهـذه الكثرة: وبمثـل هذا الميـل. . . أرأيت إلى الحـريـري كيف كـان بـارعـاً في التـوفيق بين مقـاماتـه وأذواق العصر؟ فأغتفـروا لـه هـذه الشـطحـات اللغـويـة الملغزة؛ بل أكبروها، ولكنها في ميزان النقد عبء على الأسلوب.

(أ) تارة يلغز بمسـائل النحـو، كما في مقـامته القـطيعية، وقـد سبقت الإشارة إليها.

(ب) وتارة يلغز بمسائل الفقه كقوله في مقامة الرملية:

(فلما خيمت بـالرملة، وألقيت بهـا عصا الـرحلة؛ صـادفت بهـا ركـابـاً تعـد للسـرى، ورحـالاً تشـد إلى أم القـرى، فعصفت بي ريـح الغـرام، واهتـاج لي شوق إلى البيت الحرام، فزممت ناقتي، ونبذت علقي وعلاقتي:

وقــلت لــلائــمــي أقصر فــإني سـأخـتـار المقـام عـلى المـقـام
وأنـفـق مـا جمـعـت بـأرض جمـع وأسـلو بـالحـطيـم عـن الحـطام

ثم انتظمت في رفقة كنجـوم الليل. لهم في السـير جريـة السيل، وإلى الخـير جـري الخيـل. فلم نـزل بـين إدلاج وتـأويب، وإيجـاف وتقـريب إلى أن حبتنـا

(١) مقامات الحريري (مقدمة) ص ٧ و٨